الباب الثاني

أساسيات سورة الأنبياء

٢,١ ـــ اسم السورة وعدد آياتها

٢,٢ ـــ مكانة السورة وأغراضها

٢,٣ ـــ سبب نزول السورة وترتيبها

٢,٤ ـــ مناسبات السورة لما قبلها وما بعدها

٢,٥ ـــ منهج السورة

٢,٦ ـــ القضايا المهمّة في السورة

٢,٧ ـــ قصّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في السورة

Prince of Songkla University Pattani Campus

أساسيات سورة الأنبياء

٢,١ ــ اسم السورة وعدد آياتها

٢,١,١ ــ معنى السورة في اللغة والاصطلاح

أ) معنى السورة في اللغة

قال صاحب اللسان[١]: السورة : المترلة، والجمع سُوَر وسُوْر؛ الأخير عن كراع. والسورة من البناء: ما حسن وطال. قال الجوهري[٢]: والسور جمع سورة مثل بُسْرة وبُسْر، وهي كل منـــزلة من البناء. ومنه سورة القرآن لأنها مترلة بعد مترلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سور بفتح الواو، قال الراعي[٣]:

هنّ الحرائر لا ربّات أخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسُوَر

قال أبو عبيدة[٤]: السورة مشتقّ من سورة البناء، وأن السورة عرق من أعراق الحائط وتجمع سُوْراً وكذلك الصورة تجمع صُوْراً، واحتجّ أبو عبيدة بقوله "سرت إليه في أعالي السُّوْر" وردّ عليه أبو الهيثم[٥]: إنما تجمع فُعْلة على فُعْل ــ

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل، كان ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد في المحرّم سنة ٦٣٠. وسمع من ابن المقير ومرتضى بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلي وغيرهم. توفي في شعبان سنة ٧١١. (انظر: ابن منظور، ١٩٩٠ : ١/ ٤)

(٢) الجوهري : هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، لغوي، من الأئمة، أشهر كتبه " الصحاح " له كتاب في " العروض" ومقدمة في " النحو " أصله من فارات، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان ثم أقام في نيسابور، ومات سنة ٣٩٤ هـــ (الزركلي، ١٩٩٩ : ٣١٣/١)

(٣) الراعي : هو حصين بن معاوية من بني نمير وكان يقال لأبيه في الجاهلية معاوية الرئيس وكان سيدا وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف الإبل في شعره وولده وأهل بيته بالبادية شادة أشراف. (انظر: ابن قتيبة ، ١٤٢١ ــ ٢٠٠٠: ص٢٤٨)

(٤) أبو عبيدة : هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحو، من أئمة العلم بالأدب واللغة، ولد في البصرة سنة ١١٠هـــ ، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـــ وقرأ عليه أشياء من كتبه. قال الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، له نحو ٢٠٠ مؤلف، توفي في البصرة سنة ٢٠٩هـــ وعمره ٩٩ سنة. (الزركلي ، ١٩٩٩ : ٢٧٢/٧)

(٥) أبو الهيثم : هو العباس بن محمد، كاتب، من أهل بغداد، تولى الكتابة للمقتدر العباسي (انظر: الزركلي، ١٩٩٩م : ٥٦/٣)

Prince of Songkla University Pattani Campus

بسكون العين ـــ إذا سبق الجمع الواحد مثل: صُوْفَة وصُوْف، وَسُوْرة البناء وَسُوْر. فالسور جمع سبق وحدانه في هذا الموضع، قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحديد : ١٣) قال: والسور عند العرب حائط المدينة وهو أشرف الحيطان، وشبّه الله تعالى الحائط الذي حجز بين أهل النار وأهل الجنة بأشرف حائط عرفناه في الدنيا، وهو اسم واحد لشيء واحد، إلا أنّا إذا أردنا أن نعرف الفرق منه قلنا سورة كما نقول التمر، وهو اسم جامع للجنس فإذا أردنا معرفة الواحدة من التمر قلنا تمرة، وكل منزلة رفيعة فهي سورة مأخوذة من سورة البناء، وأنشد للنابغة[١]:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[٢]

قال: وأما سورة القرآن فإن الله ـــ جل ثناؤه ـــ جعلها سور مثل غُرْفة وغُرَف، ورُتْبة ورُتَب، وزُلْفة وزُلَف، فدلّ على أنه لم يجعلها من سورة البناء، لأنّها لو كانت من سورة البناء لقال: ﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ولم يقل ﴿ بِعَشْرِ سُورٍ ﴾ والقراء مجتمعون على سُوَرٍ. وكذلك اجتمعوا على قراءة سُوْر في قوله ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ ولم يقرأ أحد ﴿ بِسُوَرٍ ﴾ فدلّ ذلك على تميّز سورة من سور القرآن عن سورة من سور البناء.

وقال أبو الهيثم[٣]: والسورة من سور القرآن عندنا قطعة من القرآن سبق وحدانها جمعها كما أن الغرفة سابقة للغرف. قال: وكأن أبا الهيثم جعل السورة من

---

(١) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان. وسمّي بالنابغة لقوله : "فقد نبغت لنا منهم شؤون" (ابن قتيبة ، ١٤٢١ـــ ٢٠٠٠م : ص٧٥) قيل : سمّي بالنابغة لأنه قال الشعر بعد أن تقدمت به السن. أمه عاتكة بنت أنيس من بني أشجع الذبيانيين، فهو ذبياني أبا وأما. وكان يكنى بأبي أمامة وأبي ثمامة. توفي في أوائل القرن السابع الميلادي. (تميم محمود فاخوري ومريم شبلي ، د.ت : ص١٤)

(٢) هذا البيت من البحر الطويل، ديوان النابغة ، ص٧٣

(٣) سبق له الترجمة

Prince of Songkla University Pattani Campus

سور القرآن من أسأرت سؤرا أي أفضلت فضلاً إلا أنها لما كثرت في الكلام وفي القرآن ترك فيها الهمز.

قال ابن الأعرابي[1]: سورة كل شيء حدّه، السورة: الرفعة، وبها سميّت سورة من القرآن أي رفعة وخير. وقال أبو منصور: والبصريون جمعوا الصورة والسورة وما أشبهها صُوْراً وسُوْراً وصُوَراً وسُوَراً ولم يميّزوا بين ما سبق جمعه وحدانه وبين ما سبق وحدانه جمعه. قال: والذي حكاه أبو الهيثم هو قول الكوفيين. (ابن منظور، ١٩٩٠ : ٣٨٣/٣)

ب) معنى السورة في الاصطلاح

وأما معناها الاصطلاحي فقد اختلف العلماء في تحديده بعبارات مختلفة والمقصود به واحد كما يلي:

قال الجعبري[2]: حدّ السورة قرآن يشتمل على آية ذي فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات. وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفاً أي المسماّة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ. (السيوطي، ٢٠٠٣ : ١٠٥/١)

وقال منّاع القطان: والسورة هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع. (مناع القطان، ١٩٨٧ : ١٣٩)

---

(١) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله راوية، ناسب علامة باللغة، من أهل الكوفة ، كان أحول، أبوه مولى للعباس بن محمد بن على الهاشمي، قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضر زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على إجمال و لم ير أحد في علم الشعر أغزر منه ، وهو ربيب المفضل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء سنة ٢٣١هـ وله تصانيف كثيرة. (الزركلي، ١٩٩٩م : ١٣١/٣٦)

(٢) الجعبري: هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق، عالم بالقرآن من فقهاء الشافعية، له نظم ونثر. ولد بقلعة جعبر (على الفرات بين بالس والرقة) سنة ٦٤٠هـ. تعلّم ببغداد ودمشق واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات سنة ٧٣٢. (الزركلي، ١٩٩٩ : ٥٥/١)

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقال الزرقاني: ويمكن تعريفها اصطلاحاً بأنها طائفة مستقلّة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع (الزرقاني، ١٩٩٦ : ٣٥٠)

وعرّف صاحب "في دراسات في علوم القرآن الكريم" كما قاله صاحب مناهل العرفان في علوم القرآن. (الرومي، ١٩٩٨ : ١٠٤)

وقال أبو شهبة في المدخل لدراسة القرآن الكريم: "السورة في اصطلاح العلماء: طائفة من آيات القرآن الكريم جمعت وضمّ بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله ﷻ لها". (أبو شهبة، ١٩٩٢ : ٢٥٨)

وسبب الخلاف عند أصحاب اللغة العربية في تحديد معنى السورة هو الخلاف في أصل اشتقاق كلمة «السورة»؛ قال بعضهم: "إنها مأخوذة من (السور) بغير الهمزة أي سور المدينة لإحاطتها بآياتها إحاطة السور بالبنيان، قيل لأنها ضمّت آياتها بعضها إلى بعض كما أن السور توضع لبناته بعضها فوق بعض حتى يصل إلى الارتفاع الذي يراد.

وقال بعضهم: إنّها مأخوذة من (السؤر) بالهمز وهي ما بقي من الشراب في الإناء كأنّها قطعة من القرآن وبقيّة منه وهي على هذا مهموزة فحذفت همزها تخفيفاً.

وقال بعضهم: إنّها مأخوذة من السورة وهي الرتبة والمنـــزلة، وسور القرآن مراتب ومنازل يترقّى فيها القارئ من مترلة إلى أخرى. وقيل: إنّها مشتقّ من سورة البناء لأن السورة عرق من أعراق الحائط.

ومن بين الاختلافات في تحديد المعنى الاصطلاحي للسورة عند العلماء أرى أنّ الخلاف هو الخلاف في أصل اشتقاق الكلمة. وأرى أن أصحّ التعريف هو ما اختاره أبو شهبة بأنّها: "طائفة من آيات القرآن الكريم جمعت وضمّ بعضها إلى بعض حتّى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها" لكون هذا التعريف هو الأكمل والأشمل، والتعريفات الأخرى داخلة في هذا التعريف.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢,١,٢ ــ تسمية السورة

سمّيت السّورة سورة لأنّها اسم للمنـــزلة الرفيعة. (القرطبي، ١٩٨٨: مج٦/٢٢/١٠٦) قال ابن سيده[١]: سمّيت السورة من القرآن لأنها درجة إلى غيرها ومن همزها جعلها بمعنى بقيّة من القرآن وقطعة، وأكثر القرّاء على ترك الهمزة فيها. (ابن منظور، ١٩٩٠ : ٤/٣٨٦) قال ابن جني[٢]: إنّما سمّيت سورة لارتفاع قدرها لأنّها كلام الله تعالى. (جلال الدين، ٢٠٠٣ : ١٠٥) والحكمة في تسوير القرآن سوراً تحقيق كون السورة في مفردها معجزة. (جار الله ، ١٤٠٤ : ١٢)

وقد ثبت أنّ أسماء السّور بالتوقيف من الآحاديث والآثار، قد يكون للسّورة اسم واحد وهو كثير وقد يكون لها اسمان فأكثر، كسورة الفاتحة لها أكثر من عشرين اسماً، وأمّا هذه السورة فقد سمّاها السلف "سورة الأنبياء" لما رواه البخاري ــ رحمه الله ــ عن ابن مسعود[٣] ﷺ قال : ((**في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنّهن من العتاق الأول وهن من تلادي**)) (البخاري رقم ٤٦١٠) ولا يعرف لها اسم غير هذا الاسم.

---

(١) ابن سيده: هو أبو الحسن بن سيده، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده. وفي بعض الترجمة: إمام اللغة ، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (وفي بعض المصادر "أحمد" بدل " إسماعيل" وفي بعضها "محمد") ، المرسي (نسبة إلى مرسية ، وهي مدينة في شرق الأندلس) ، الضرير ، صاحب "كتاب المحكم والمحيط الأعظم" في لسان العرب وأحد من يضرب المثل. وله كتاب "المخصص" في اللغة أيضاً، وكتاب " الأنيق في شرح الحماسة" في ست مجلدات وغيرذلك من المصنّفات. (الذهبي ، ١٩٩٦م : ج١٨ ص١٤٤، وابن العماد الحنبلي، ١٩٩٨م مج٣/ ص٤٨٨)

(٢) ابن جني: هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح ، من أئمة الأدب والنحو، له شعر، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٩٣٢ عن نحو ٦٥عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في " من نسب إلى أمه من الشعراء ــ خ " و " شرح ديوان المتنبي ــ ط " و " سر الصناعة ــ ط " الأول منه في اللغة و " الخصائص ــ ط " ثلاثة في اللغة و " اللمع ــ خ " في النحو ، وغيرها. وكان المتنبي يقول : إبن جني أعرف بشعري مني ، مات سنة ٣٩٢هـــ. (الزركلي، ١٩٩٩ : ٤/٣٠٨)

(٣) ابن مسعود: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن أم عبد الهذلي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين، من كبار البدريين، ومن نبلاء الفقهاء والمقربين. قال فيه عمر بن الخطاب : إنه كثيف مليء علما. أسلم قديما توفي بالمدينة المنورة سنة ٣٢ هـــ. وعمره ٦٠ عاما. (ابن حجر، ١/١٥٢. الذهبي ، ١/١٣. ابن حجر، ٢/٣٦٨)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢,١,٣ ــ عدد آيات السورة

قد اختلفوا في عدد آيات القرآن الكريم عموماً كما يلي:

عند المكيين: ٦٢١٩ ستّ آلاف ومائتان وتسع عشرة آية.

وعند الكوفيين: ٦٢٣٦ ستة آلاف ومائتان وستّ وثلاثون آية.

عند البصريين: ٦٢٠٤ ستة آلاف ومائتان وأربع آية

وعند أهل الشام: ٦٢٢٥ أو ٦٢٢٦ ستة آلاف ومائتان وخمسة أوستة وعشرون آية. وسبب هذا الخلاف في بعض مواضع الوقف. (عبد الله بن جار الله، ١٤٠١ : ص١٢)

وأما عدد آيات سورة الأنبياء فقد اختلف المفسّرون من المدينة ومكة والكوفة والبصرة بين مائة وإحدى عشرة آية وبين مائة واثنتا عشرة آية. وقد بيّن في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: "ومن السورة التي يذكر فيها الأنبياء وهي كلّها مكيّة آياتها مائة وإحدى عشرة ". (تفسير ابن عباس، ٢٠٠٠ : ٣٣٨)

وفي فتح القدير: وهي ــ سورة الأنبياء ــ مكيّة. قال القرطبي في قول الجميع وهي مائة واثنتا عشرة آية. (الشوكاني، ١٩٩٢ : ٤٤٦/٣)

والأكثرون على أن عدد آيات سورة الأنبياء مائة واثنتا عشرة آية.

٢,٢ ــ مكانة السورة وأغراضها

٢,٢,١ ــ مكانة السورة

سورة الأنبياء من أشرف سور القرآن الكريم، وهي مكيّة بإجماع العلماء، وهي سورة عظيمة. وشرف هذه السّورة واضح لتضمّنها الحديث عن قصص معظم الأنبياء وجهادهم، وذكر قصة دعوتهم لأقوامهم إلى ترسيخ العقيدة، ونجد في بداية

Prince of Songkla University Pattani Campus

السورة بيانا عن عقيدة الإيمان بيوم القيامة ثم سار إلى ذكر قصصهم حيث تبدأ بقصّة موسى وهارون عليهما السلام (كما في آية ٤٨-٥٠) ثمّ قصّة خليل الرحمن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام (كما في آية ٥١-٧٠) ثمّ قصّة إسحاق ويعقوب عليهما السلام (كما في آية ٧١-٧٣) ثمّ قصّة لوط ونوح عليهما السلام (كما في آية ٧٤-٧٧) ثمّ قصّة داود وسليمان عليهما السلام (كما في آية ٧٨-٨٢) وقصة أيّوب عليه السلام (كما في آية ٨٣-٨٤) وقصّة إسماعيل وإدريس وذي الكفل عليهم السلام (كما في آية ٨٥-٨٦) وقصّة يونس عليه السلام (آية ٨٧-٨٨) وقصّة زكريا ويحيى ومريم عليهم الصلاة والسلام (كما في آية ٨٩-٩١) إلى قصّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

وورد في فضل هذه السورة أحاديث منها:

١ ــ وقد أخرج الإمام البخاري[١] رحمه الله وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((**بنو إسرائيل والكهف ومريم والأنبياء هنّ من العتاق الأول وهنّ من تلادي**))[٢] (البخاري رقم ٤٦١٠)

٢ ــ وأخرج ابن مردويه[٣] وأبو نعيم في الحلية، عن عامر بن ربيعة أنّه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه وكلّم فيه رسول الله ﷺ فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ واديا ما في العرب واد أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك؛ نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء:١) (الشوكاني، ١٩٩٢: ٤٤٦/٣، وحجازي، ١٩٦٨ : مج٢ ٣/١٧)

---

(١) سبق له الترجمة

(٢) التلادي: هو أول ما أخذْته وتعلمتُه بمكة. والتالد: المال القديم الذي ولد عندك وهو نقيض الطارف. (ابن الأثير، د.ت : ١٩٤/١

(٣) ابن مردويه: هو الحافظ المجود العلامة، محدث العلامة، محدث أصبهان، أبوبكر، أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ، توفي سنة ٤١٠هـ

كذلك قال ابن كثير وغيره. وأما سبب نزول سور القرآن الكريم عموما فمنها ما سبّب في نزول آية أو آيات في مطلع السورة، ومنها ما سبّب في نزولها في وسطها، ومنها ما سبّب في نزولها في آخرها.

ولنـــزول سورة الأنبياء أحاديث منها:

١ ـــ عن عامر بن ربيعة[١] أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه وكلّم فيه رسول الله ﷺ فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ واديا ما في العرب واد أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك؛ نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ (الأنبياء: ١)

٢ ـــ وروي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً، فمرّ به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ فنفض يده من البنيان وقال: والله لا بنيت أبداً وقد اقترب الحساب ولما نزلت هذه السورة قيل لعامر بن ربيعة ﷺ: هلا سألت النبي ﷺ عنها؟ فقال: ((نزلت اليوم أذهلتنا عن الدنيا)) (القرطبي، ١٩٨٨ : مج٦ ١١/١٧٧)

بالإضافة إلى أن لبعض آيات السورة سبب نزولها الخاصّة بها؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٦)

---

(١) عامر بن ربيعة: هو أبو عبد الله عامر بن ربيعة بن مالك العنزي، أسلم قديما، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها. مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وثلاثين.

مرّ النبي ﷺ على أبي سفيان[1] وأبي جهل[2] وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبيّ بني عبد مناف! فغضب أبو سفيان وقال: ما تنكر أن يكون لبني عبد مناف نبيّ؟ فرجع رسول الله ﷺ إلى أبي جهل وقال له: ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب عمّك الوليد بن المغيرة[3] فنـــزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٦)

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠١) أخبرنا عمر بن أحمد بن عمر الأودي، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد نصير الرازي، قال: أخبرنا محمد بن أيوب، قال: أخبرنا علي بن المديني، قال: أخبرنا يحيى بن نوح، قال: أخبرنا أبو بكر بن عباس، عن عاصم، قال: أخبرنا أبو رزين، عن يحيى، عن ابن عباس قال: آية لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لمّا نزلت ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٨) شقّ على قريش، فقالوا: يشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبعرى، فقال: مالكم؟ قالوا: يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ

---

(١) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سادات قريش في الجاهلية، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. أسلم يوم فتح مكة (٨هـ) وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن. ولما توفي رسول الله ﷺ كان أبو سفيان عامله على نجران ثم أتى الشام توفي بالمدينة وقيل بالشام سنة ٣٢هـ وعمره ٨٨ سنة (الزركلي، ١٩٩٩م : ٣/٢٠١)

(٢) أبو جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام ، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. يقال له " أبو الحكم " فدعاه المسلمون أبا جهل هلك في ٢هـ ـــ ٦٢٤م (الزركلي ، ١٩٩٨ : ٥/٨٧)

(٣) الوليد بن المغيرة : هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس : من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، زمن زنادقتها . يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كليها. هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، ودفن في الحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (الزركلي ، ١٩٩٨ : ٨/١٢٢ ، وابن الأثير ، ١٩٩٤ : ٢/ ٢٦)

Prince of Songkla University Pattani Campus

جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٩٨) قال: ادعوه لي؛ فلما دعي رسول الله ﷺ، قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عبد من دون الله؟ قال : [لا] بل لكلّ من عبد من دون الله! فقال ابن الزبعرى: خصمت وربّ هذه البنية ــ يعني الكعبة ــ ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام وهذه اليهود يعبدون عزيراً، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ (الأنبياء : ١٠١) الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام ﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الواحدي، ١٤٠٧ــ ١٩٨٧: ص٣٥٣ ــ ٣٥٤)

٢,٣,٢ ــ ترتيب السورة

يرى الباحث ترتيب سورة الأنبياء حسب نظره من ثلاثة حيثيات:

١ ــ من حيث الوضع في المصحف العثماني فهي تقع بعد سورة "طه" وقبل سورة "الحج" كما شاهدناه في المصحف الشريف، وذلك الترتيب توقيفي عن النبيّ ﷺ كما هو مرتّب عند الله في اللوح المحفوظ. حيث إنّها لمّا نزلت آية عيّنها الرسول ﷺ وقال: هذه الآية أو آية كذا ضعها في مكان كذا، وفي سورة كذا، وذلك لحكمة الله عزّ وجلّ، لوجود الترابط والصلة بين السّور وبين الآيات. وسنتحدّث عنه في موضوع "مناسبات السورة لما قبلها وما بعدها" الآتي.

٢ ــ من حيث النــزول فهي نزلت بعد سورة إبراهيم عليه السلام.

٣ ــ من حيث الترقيم فهي تحمل رقم ٢١ (واحد وعشرين)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢,٤ ـــ مناسبات السورة لما قبلها وما بعدها

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة.

وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها. (مصطفي مسلم ، ٢٠٠٥ : ٥٨)

لقد رتّبت سور القرآن الكريم ترتيبا مناسبا كما تولاه النبي ﷺ، فكان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتّب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه مما يدلّ على عدم المخالفة والإجماع عليه.

قال ابن الأنباري: "أنزل الله القرآن كلّه إلى سماء الدنيا، ثم فرّقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنـــزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلّه عن النبي ﷺ، فمن قدّم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم القرآن" (مناع القطان، ١٩٨٧ : ص١٤٤)

وفي البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كلّ سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفّي فيها مرّتين، وكان آخر الآيات نزولاً قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨١) فأمره جبريل أن يضعها بين أيتي الرّبا والدّين (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، د. ت : ٦٢/١)

وبهذا تبيّن أن ترتيب السور توقيفي كما جاء عن النبي ﷺ فهو هكذا عند الله في اللوح المحفوظ.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢,٤,١ ــ مناسبات السورة لما قبلها

تظهر مناسبة سورة الأنبياء لسورة طه مايلي:

١ ــ الإشارة إلى قرب الأجل المسمّى للعذاب ودنوّ الأمل المنتظر

قال تعالى في آخر سورة طه: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (طه : ١٢٩) ثم قال: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ﴾ (طه : ١٣٥) أي كل واحد منا ومنكم منتظر لما يؤول إليه الأمر فتربّصوا أنتم فستعلمون من لم يضلّ ــ أصحاب الصراط المستقيم ــ ومن ضلّ ثمّ اهتدى وقال تعالى في مطلع هذه السورة: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء : ١) أي اقترب للناس وقت القيامة الذي يحاسبون فيه. فنجد الترابط والصّلات بين السّورتين إشارة إلى قرب القيامة والحساب.

٢ ــ التحذير من الاغترار بالدنيا والعمل للآخرة

قال تعالى في آخر سورة طه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (طه : ١٣١) فإن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا لدنوّها من الزّوال والفناء، وختمت سورة الأنبياء بمثل ما بدئت به السورة المتقدمة، فأبان الله تعالى بقرب الساعة والحساب فإن الناس غافلون عنها ولاهون عن القرآن والاستماع إليه. (وهبة الزحيلي،١٩٩١: ٥/١٧)

٣ ــ الأمر بالدعوة والاستعداد بعدّها

قال تعالى في سورة طه آمراً موسى عليه السلام بدعوة فرعون ــ لعنة الله عليه ــ بعد أن أعطاه الله معجزة العصا: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (طه : ٢٤) ثمّ زوّده الله بقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ... ﴾ (الأنبياء : ٤٨)

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢,٤,٢ ــ مناسبات السورة لما بعدها

تظهر مناسبة سورة الأنبياء لسورة الحج بعدها ما يلي:

١ ــ نجد التناسب والارتباط بين خاتمة سورة الأنبياء وبداية سورة الحج، فقد ختمت سورة الأنبياء ببيان اقتراب الساعة ووصف أهوالها في قوله تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٩٧) وافتتح سورة الحج بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج : ١-٢)

٢ ــ في سورة الأنبياء بيان أكثر من عشرة من الأنبياء تدور على ما قاموا به من إثبات توحيد الله ونبذ الشرك والإيمان بالبعث، وفي سورة الحج استدلال بخلق الإنسان بأطواره المتعددة وبإبداع السموات والأرض على قدرة الله على إحياء البشر للبعث، وعلى وجوده تعالى ووحدانيته، ثم تنبيه الأفكار على الالتفات لأحوال القرى الظالمة التي أهلكها الله، والاتعاظ بها.

٢,٥ ــ منهاج السورة

إنّ المنطلق الإيماني بالله واليوم الآخر كما ورد ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...**)) (البخاري رقم ٥٥٥٩)[1] يشير إلى تعميق الثوابت العقديّة في نفوس السّامعين، وحينما يكون الموضوع الرئيسي الذي تعالجه السّور المكيّة. حيث

(١) الحديث كذلك ورد في مسلم رقم ٦٧

يكون موضوع العقيدة بما فيه من ميادين التوحيد والرّسالة والبعث. يمكننا أن نستشف منهاج سورة الأنبياء، إذ سياق هذه السّورة يعالج ذلك الموضوع بعرض النواميس الكونيّة الكبرى وربط العقيدة بها. فالعقيدة جزء من بناء هذا الكون فهي واحدة كذلك وإن تعدد الرسل على مدار الزمان ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥) وقد اقتضت مشيئة الله أن يكون الرسل كلّهم من البشر: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنبياء : ٧). وكما أنّ العقيدة وثيقة الارتباط بنواميس الكون الكبرى، فكذلك ملابسات هذه العقيدة في الأرض. فالسنة التي لا تتخلف أن يغلب الحق في النهاية وأن يزهق الباطل، لأن الحق قاعدة كونية وغلبته سنة إلهية : ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٨) وأن يحلّ الهلاك بالظالمين المكذّبين، وينجّي الله رسله والمؤمنين: ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأنبياء : ٩) وأن يرث الأرض عباد الله الصالحون: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٥)

وقد يتضمّن سياق السورة بعض مشاهد القيامة، وتتمثل فيها تلك المعاني نفسها في صورة واقعية يوم القيامة.

وهكذا تتجمع الإيقاعات المنوّعة في السورة على هدف واحد، وهو استجاشة القلب البشري لإدراك الحقّ الأصيل في العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل ﷺ فلا يتلقاها الناس غافلين معرضين لاهين كما يصفهم في مطلع السورة : ﴿ ٱقۡتَرَبَ

لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ... ﴾ (الأنبياء : ١)

إن هذه الرسالة حقّ وجد كما أن هذا الكون حقّ وجد. فلا مجال للسهو في استقبال الرسالة، ولا مجال لطلب الآيات الخارقة، وآيات الله في الكون وسنن الكون كلّه. توحي بأنه الخالق القادر الواحد، والرسالة من لدن ذلك الخالق القادر الواحد.

نظم هذه السورة من ناحية بنائه اللفظي وإيقاعه الموسيقي هو نظم التقرير، الذي يتناسق مع موضوعها ، ومع جو السياق في عرض هذا الموضوع، يبدو هذا واضحا بموازنته بنظم سورتي مريم وطه مثلا، فهاناك الإيقاع الرخي الذي يناسب جوّهما. وهنا الإيقاع المستقر الذي يناسب موضوع السورة وجوّها.

ويزيد هذا وضوحاً بموازنة نظم قصّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في سورة مريم ونظمها هنا وكذلك بالتأمل في الحلقة التي أخذت منها هناك. ففي سورة مريم أخذت حلقة الحوار الرخي بين خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وأبيه. أما هنا فجاءت حلقة تحطيم الأصنام، وإلقائه في النار، ليتمّ التناسق في الموضوع والجوي والنظم والعقاب. (سيد قطب، ١٩٨٦ : ٢٣٦٥/٤). وكذلك في سورة الصافات أخذت الحوار بينه وبين أبيه وقومه في شأن التوحيد حتى وصل إلى حد كسر الأصنام. كما قال الله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ (الصافات : ٩٣) أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنّها أقوى على العمل من الشّمال وقيل: باليمين أي: بالقوّة وقيل: أراد به القسم الذي سبق منه وهو قوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ (الأنبياء : ٥٧) (البغوي، ١٩٩٧ : ٤٥/١)

٢,٦ ــ القضايا المهمّة في السورة

القضايا المهمّة في سورة الأنبياء يمكن تلخيصها فيما يأتي (انظر: وهبة الزحيلي، ١٩٩١ : مج٩ ، ٥/١٧ ، والحجازي ، ١٩٦٨ : مج٢ ٣/١٧)

١. قضية غفلة الناس عن الآخرة وعن الحساب والجزاء ، تتحدّث عنها من بداية الآية الأولى حتى الآية السادسة (١- ٦)

٢. قضية بشرية الرسل وإنجاز الوعد لهم وجعل القرآن عظة، تتحدّث عنها الآية السابعة حتى الآية العاشرة (٧- ١٠)

٣. قضية الإنذار والتهديد بعذاب الاستئصال والتذكير بعجائب الخلق، تتحدّث فيها الآية الحادية عشرة حتى الآية العشرين (١١- ٢٠)

٤. قضية توبيخ المشركين ومناقشتهم في عقائدهم وإثبات الوحدانية، تتحدّث فيها الآية الحادية والعشرون حتى الآية التاسع والعشرين (٢١- ٢٩)

٥. توبيخ آخر للمشركين على عدم تدبر آيات الكون الدالة على وجود الإله الواحد تتحدّث فيها أية ٣٠ - ٣٣

٦. موقف من مواقف المشركين مع النبي ﷺ وموت جميع الخلائق ومجيء القيامة أو عذاب النار بغتة، تتحدّث فيها الآية الرابعة والعشرون حتى الآية الحادية والأربعين (٣٤- ٤١)

٧. حراسة الله وحفظه للإنسان وعدله في حساب الأعمال، ولا رادّ لقضاء الله ﷻ، تتحدّث فيها الآية الثانية والأربعون حتى الآية السابعة والأربعين (٤٢- ٤٧)

٨. قصص بعض الرسل عليهم الصّلاة والسّلام

ــ القصّة الأولى: قصة موسى عليه السلام مقارنة بين خصائص التوراة وخصائص القرآن تتحدّث فيها الآية الثامنة والأربعون حتى الآية الخمسين (٤٨- ٥٠)

Prince of Songkla University Pattani Campus

ـــ القصّة الثانية: قصّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وتشمل: النقاش الجاد بينه وبين قومه بعد كارثة تكسير الأصنام ، والانتصار الساحق له ونجاته من النار، ونعم أخرى عليه وإنجاؤه مع لوط إلى الأرض المباركة تتحدّث فيها الآية الحادية وخمسون حتى الآية الثالثة والسبعين (٥١- ٧٣)

ـــ القصّة الثّالثة: قصة لوط عليه السلام تتحدّث فيها الآية الرابعة والسبعون حتى الآية الخامسة والسبعين (٧٤- ٧٥)

ـــ القصّة الرابعة: قصة نوح عليه السلام تتحدّث فيها الآية السادسة والسبعون حتى الآية السابعة والسبعين (٧٦- ٧٧)

ـــ القصّة الخامسة: قصة داود وسليمان عليهما السلام تتحدّث فيها الآية الثامنة والسبعون حتى الآية الثانية والثمانين (٧٨- ٨٢)

ـــ القصّة السادسة: قصّة أيوب عليه السلام تتحدّث فيها الآية الثالثة والثمانون حتى الآية الرابعة والثمانين (٨٣- ٨٤)

ـــ القصّة السابعة: قصّة إسماعيل وإدريس وذي الكفل عليهم السلام تتحدّث فيها الآية الخامسة والثمانون حتى الآية السادسة والثمانين (٨٥- ٨٦)

ـــ القصّة الثامنة: قصة يونس عليه السلام تتحدّث فيها الآية السابعة والثمانون حتى الآية الثامنة والثمانين (٨٧- ٨٨)

ـــ القصّة التاسعة والعاشرة: قصة زكريا ويحيى ومريم عليهم السلام تتحدّث فيها الآية التاسعة والثمانون حتى الآية الحادية والتسعين (٨٩- ٩١)

٩ ـــ وحدة الرسالات السماوية والسنة الإلهية تتحدّث فيها الآية الثانية والتسعون حتى الآية السابعة والتسعين (٩٢- ٩٧)

١٠ ـــ أحوال الكافرين والمؤمنين ونهايتهم في الآخرة وحال السماء فيها تتحدّث فيها الآية الثامنة والتسعون حتى الآية السادسة والمائة (٩٨- ١٠٦)

١١ ـــ نبي الرحمة المهداة وموقفه من الناس تتحدّث فيها الآية السابعة والمائة حتى آخر الآية في السورة (١٠٧- ١١٢)

Prince of Songkla University Pattani Campus

قسّم سيد قطب القضايا المهمّة في سورة الأنبياء إلى أربعة أشواط:

الشوط الأول: يبدأ بمطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزا وهو بلغتها إلى الخطر القريب الحدق وهي عنه غافلة ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ (الأنبياء : ١)

ثم يهزّها هزة أخرى بمشهد من مصارع الغابرين الذين كانوا عن آيات ربهم غافلين، فعاشوا في الغيّ ظالمين ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ (الأنبياء : ١١)

ثم يربط بين الحق والجد في الدعوة، والحق والجد في نظام الكون، وبين عقيدة التوحيد وبين وحدة الخالق المدبّر ووحدة الرسالة والعقيدة ووحدة مصدر الحياة ونهايتها ومصيرها على النحو الذي أسلفناه

الشوط الثاني: الحديث إلى الكفار الذين يواجهون الرسول ﷺ بالسخرية والاستهزاء بينما الأمر جد وحق وكل ما هولهم يوحي باليقظة والاهتمام وهم يستعجلون العذاب والعذاب منهم قريب. ويعرض مشهداً من مشاهد القيامة وبلغتهم إلى ما أصاب المستهزئين بالرسل قبلهم، ويقرر أن ليس لهم من الله من عاصم، ويوجه قلوبهم إلى تأمل يد القدرة وهي تنقص الأرض من أطرافها وتزوي رقعتها وتطويها فلعل هذا أن يوقظهم من غفلتهم التي جاءتهم من طول النعمة وامتداد الرخاء.

وينتهي هذا الشوط بتوجيه الرسول ﷺ إلى بيان وظيفته ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ ﴾ وإلى الخطر الذي يتهددهم في غفلتهم ﴿ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (الأنبياء : ٤٥)

الشوط الثالث: استعراض أمة النبيين، وفيها تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة كما تتجلى رحمة الله بعباده الصالحين وإيحاؤه لهم وأخذ المكذبين.

الشوط الرابع: يعرض النهاية والمصير في مشهد من مشاهد القيامة المثيرة ويتضمن ختام السورة بمثل ما بدأت : إيقاعا قويا، وإنذارا صريحا، وتحلية بينهم وبين مصيرهم المحتوم. (سيد قطب، ١٩٨٦ : ٢٣٦٣/٤- ٢٣٦٧)

٢,٧ ــ قصّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في السورة

لقد جاء في القرآن الكريم قصص الأنبياء في مواضع متفرقة وفي سور مختلفة. ذكر طرفاً منها في عدة آيات من سورة كذا، وطرفاً آخر أكثر من آيات أو أقل منها في سورة أخرى، أجمل في مكان وفصّل في مكان آخر والعكس. ولم نجد في القرآن الكريم ذكر قصة أحد الأنبياء بكاملها سوى قصة يوسف عليه السلام، حيث ذكرها كاملة في سورة يوسف. أما قصة غيرهم من الأنبياء والمرسلين فقد ذكرها القرآن الكريم أطرافا في مواضع مختلفة، وفي سور متعددة، أجمل أوفصّل في سور شتّ وذلك لأغراض متنوعة، وحكمة إلهية.

ونجد ذكر قصّة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في أكثر من سور حيث بلغ خمسا وعشرين سورة كما أشار إليه المفسرون، منها:

ــ ذكر في سورة البقرة قصّة ابتلاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام قوله تعالى:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ١٢٤)

ــ وذكر في نفس السورة قصّة بنائه عليه السلام الكعبة المشرفة قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة : ١٢٧-١٢٩)

ـــ وذكر في نفس السورة أيضا قصّة توصيته لبنيه، قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة : ١٣٢-١٣٣)

ـــ ذكر في السورة نفسها قصّة مناظرته مع الملك المتكبر الذي زعم لنفسه بعض صفات الربوبية والألوهية وهو نمرود[1] ـــ لعنة الله عليه ـــ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥٨)

---

(١) النمرود بالدال (النمرود) وهو نمرود بن كوش (ابن الأثير، ١٩٩٤: ٨٤) ، وفي بعض النسخ بالذال (النمروذ) وهو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام (ابن خلدون، ١٩٩٩: ٣٤). ملك الدنيا إذ ذاك ، ويقول عامّة أهل الأخبار: إنّ نمرود كان عاملاً للازدهاق الذي زعم بعض من زعم أنّ نوحاً أرسل إليه. وأمّا جماعة من سلف من علماء فإنّهم يقولون: كان ملكاً برأسه. قال ابن إسحاق: وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل. ويقال: لم يجتمع ملك الأرض إلاّ لثلاثة ملوك: نمرود وذي القرنين وسليمان بن داود، وأضاف غيره إليهم بختنصّر . قال المفسّرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، قاله مجاهد. وقال غيره : نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح. وقال مجاهد وغيره : وكان أحد ملوك الدنيا فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: ذو القرنين وسليمان، والكافران: النمرود وبختنصر، وذكروا أن نمرود هذا استمرّ في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغى وبغى وتجبّر وعتا، وآثر الحياة الدنيا. (ابن الأثير، ١٩٩٤: ٨٤ ، ٩٧)

Prince of Songkla University Pattani Campus

ـــ وذكر في سورة الأنعام قصّة صراعه مع أبيه في إثبات الربوبية، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ، وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ، فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ، فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ، وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ، وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام : ٧٤-٨٣)

ـــ ذكر في سورة إبراهيم قصّة دعائه له وأبنائه أن يجتنب عن عبادة الأصنام قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى

وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ * رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ * رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم : ٣٥-٤١)

ـــ ذكر في سورة مريم طرف من قصّته مع أبيه دعوته له أن يتجنب عن الشيطان وعن عبادة الآلهة، قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (مريم : ٤١-٤٨)

ـــ ذكر في سورة الشعراء طرف من قصته مع أبيه في إبطال تقليد الأعمى للآباء القدماء مع أنهم في ضلال مبين، قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ * وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ * وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء : ٦٩-٨٩)

ـــ ذكر في سورة الصافات قصّته في تكسير الأصنام قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ *

Prince of Songkla University Pattani Campus

﴿ قَالَ : لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

﴿ قَالُوٓاْ : أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾

﴿ قَالَ : بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ، ﴿ وَتَٱللَّهِ لأكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾

﴿ قَالُواْ : مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

﴿ قَالُواْ : سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾

﴿ قَالُواْ : فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾

﴿ قَالُوٓاْ : ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾

﴿ قَالَ : بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ ، ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ : إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾

﴿ قَالَ : أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ ، ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

Prince of Songkla University Pattani Campus

﴿ قَالُواْ : حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾

﴿ قُلۡنَا : يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ، ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ ، ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴾ ، ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾.

تفاصيل القصّة:

كان قوم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام أهل أوثان يعبدون الكواكب والنجوم والأصنام، وكان أبوه نجاراً يصنع الأصنام ويبيعها للناس. وأما خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فقد صنعه الله العليم القدير على عينيه وربّاه على يده وهداه إلى الرشد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ ﴾ أي الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل عليهم الصلاة والسلام (الشوكاني، ١٩٩٢: ٤٦٣/٣). أي ألهمه الله الحق والحجّة على قومه كما قال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ (الأنعام : ٨٣) وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع وأنه خرج بعد أيام فنظر إلى الكوكب

Prince of Songkla University Pattani Campus

والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسّرين وغيرهم[1] (ابن كثير، ١٩٨٩: ١٨١/٣). ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل موسى وهارون عليهما السلام ووفّقناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد ﷺ وعلى إبراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأصنام وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منا (الطبري،١٩٩٢: ٣٢/٩). ومعنى ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أنه أعطى رشده قبل إيتاء موسى وهارون التوراة. وقال الفراء: "المعنى أعطيناه هداه من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال لمّا جن عليه الليل فرآي الشمس والقمر والنجوم. وعلى هذا أكثر المفسرين". (الشوكاني، ١٩٩٢: ٤٦٣/٣). وقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ أي عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له لا يشرك به شيئا. أو عالمين بحاله وباستعداده لحمل الأمانة التي يحملها المرسلون وأنه أهل لما آتاه الله من الفضل والنبوة، فعلم أن الأصنام التي يعبدها أبوه وقومه لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تغني شيئا، وما هي إلا حجر وخشبة صنعها أبوه.

واذكر إذ قال خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، وأبوه هو آزر وقومه هو نمروذ ومن اتبعه: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها كما حدّثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن أبن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ قال: الأصنام. (الطبري، ١٩٩٢:

---

(١) قال ابن كثير: فعاتبها أحاديث بني إسرائيل فما واقق الحق بما بأيدينا عن المعصوم قبلناه وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير السلف في روايته وكثيرمن ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعودج على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة. والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتمون من هذه الأمة. (ابن كثير، ١٤٠٣-١٩٨٣ : ١٨١/٣)

٣٥/٩). والمعنى ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟ والتمثال: اسم موضوع للشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله تعالى، يقال: مثّلت الشيء بالشيء أي شبّهته به، واسم ذلك الممثّل تمثال. (القرطبي، ١٩٨٨ : ١٩٦/١١) سمّيت الأحجار والخشب "ٱلتَّمَاثِيل" و لم يقل "أنّها آلهة" استنكارا أن يعكفوا عليها بالعبادة، وتحقيراً لها وتصغيراً لشأنها وتجاهلاً بها مع علمه بتعظيمهم لها، فكانت قولته هذه دليلاً على رشده عليه السلام.

وفي سورة الأنعام قد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام : ٧٤)، وعظ إبراهيم عليه السلام أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه فلم ينته فقال: أتتأله لصنم تعبده من دون الله؟ إني أراك وقومك السالكين في مسلك التائهين لا يهتدون اين يسلكون بل في حيرة وجهل وأمركم في ضلال بيّن واضح (ابن كثير، ٢٠٠٢ : ١٠٧٨/٢)

وفي سورة مريم قال إبراهيم عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم : ٤٢-٤٥) أي يا أبت لم تعبد ما لا ينفعك ولا يدفع عنك ضرراً، يا أبت لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام. إن الشيطان كان عصيا لربه مخالفا مستكبراً عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون ولياً للشيطان، فلا يكون لك مولى ولا ناصراً ولا معينا إلا إبليس ، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك. (ابن كثير، ٢٠٠٢ : ١٨٢٦/٣)

Prince of Songkla University Pattani Campus

فأجاب قومه على سؤاله بقوله : ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾

وقال في الشعراء موضّحا على جوابه ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٧٤) أي ليس في أصنامهم وأوثانهم خير، وليس فيها فضل، وليس معها مقتض للعبادة والتقديس إلا أن آباءهم لها عابدون، فيعبدونها تقليداً أعمى لآبائهم وأسلافهم. يعنى أجابوا بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبل الذي يتشبث به كل غريق. وهو التمسّك بمجرّد تقليد الآباء: أي وجدنا آباء نا يعبدونها فعبدناها اقتداء بهم ومشياً على طريقتهم ، وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الإسلامية. (الشوكاني، ١٩٩٣ : ٤٦٣/٣) . وقال أبوه جوابا لولده إبراهيم عليه السلام في سورة مريم: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ (مريم : ٤٦) إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبّها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك واهجرني مليًّا دهراً وزماناً طويلاً. وعن ابن عباس: ﴿ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ قال: سويا سالما، قبل أن تصيبك مني عقوبة. وكذلك قال الضحاك، وقتادة وعطية الجدلي وأبو مالك وغيرهم. واختاره ابن جرير. (ابن كثير، ٢٠٠٢ : ١٨٢٦/٣)

فقال لهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام : ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي في خسران واضح ظاهر لا يخفى على أحد ولا يلتبس على ذي عقل، فإن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر، وليس بعد هذا الضلال ضلال، ولا يساوي هذا الخسران خسران. (الشوكاني، نفس المصدر) أي في خطأ بيّن بعبادتكم حيث عبدتم حجراً أو خشبة، إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تعلم. قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : " لم يكن لهم حجّة سوى صنع آبائهم الضلال، ولهذا قال: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم" (ابن كثير ، ١٩٨٣: ١٨٢/٣)

ثمّ لمّا سمع أولئك مقالة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من تسفيه أحلامهم وتضليل آبائهم واحتقار آلهتهم قالوا: ﴿ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ أي هل أنت جادّ فيما تقول أم لاعب؟ وهل قولك حق أم مزاح؟ وهكذا المغرور المخدوع حينما يجابه بالحقائق الناصعة يستبعد أن ما عليه هو وأبوه ضلال وخطأ.

وأما خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فهو مستيقن واثق عارف بربّه يقولها كلمة المؤمن المطمئن لإيمانه قال: ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أي ليست بلاعب بل ربكم الذي لا إله غيره، الجدير بالعبادة هو الذي خلق السموات والأرض، وأنا شاهد لله بالوحدانية، وبالبراهين القاطعة، والحجج الساطعة كالشاهد الذي تقطع به الدعاوى.

أخبرهم أنه سينتقل من المحاجة باللسان إلى تغيير المنكر بالفعل ثقة بالله ﷻ، فقال إبراهيم: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ المراد هنا الاجتهاد في كسر الأصنام. أي أقسم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام قسما أسمعه بعض قومه " وحرمة الله لأكيدن أصنامكم ولأنكرنّ بآلهتكم وأختالنّ في وصول الضّر إليها بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم". ﴿ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ أي بعد أن ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين. (الشوكاني، ١٩٩٣ : ٤٦٣/٣)

قال المفسّرون: كان لهم عيد في كل سنة يجتمعون فيه، فقالوا لإبراهيم : "لو خرجتَ معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا" فقال إبراهيم عليه السلام هذه المقالة. فخرج معهم إبراهيم عليه السلام، فلمّا كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال: "إِنِّى سَقِيمٌ" اشتكي رجلي، فتركوه ومضوا، ثم نادي في آخرهم: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم

بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ فسمعها رجل فحفظها. (الصابوني، ١٩٨١ : ١٦/٩).

وقال ابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله[1] قال: لمّا خرج قوم إبراهيم عليه السلام إلى عيدهم مرّوا عليه فقالوا: يا إبراهيم، ألا تخرج معنا؟ قال: إِنِّي سَقِيمٌ، وقد كان بالأمس قال: ﴿ وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ فسمعه ناس منهم. (ابن كثير، ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣: ١٨٢/٣)

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة أنّ أبا إبراهيم عليه السلام كان يعمل هذه الأصنام ثمّ يشكّها في حبل ويحمل إبراهيم على عنقه، ويدفع إليه المشكوك يدور يبيعها، فجاءه رجل يشتري، فقال له إبراهيم: ما تصنع بهذا حين تشتريه؟ قال : أسجد له. قال له إبراهيم: أنت شيخ تسجد لهذا الصغير! إنّما ينبغى للصغير أن يسجد للكبير. فعندها قالوا: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾. (السيوطي، ٢٠٠٣ : ٣٠٣/١٠- ٣٠٤)

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن قال: خرج قوم إبراهيم عليه السلام إلى عيد لهم، وأرادوا إبراهيم على الخروج، فاضطجع على ظهره وقال : إِنِّي سَقِيمٌ لا أستطيع الخروج. وجعل ينظر إلى السماء ، فلما خرجوا أقبل على آلهتهم فكسّرها. (السيوطي، ٢٠٠٣ : ٤٢٥/١٢)

وأخرج أبن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مرّوا عليه فقالوا: يا إبراهيم، ألا تخرج معنا؟ قال: "إِنِّي سَقِيمٌ". وقد كان بالأمس قال: ﴿ وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾. فسمعه ناس منهم، فلمّا خرجوا وذهب القوم إلى عيدهم انطلق خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إلى أهله فأخذ طعاماً ثم انطلق إلى آلهتهم فقرّبه إليهم فقال: ألا تأكلون؟ فكسّرها وحطّمها

---

(١) يعني أبن مسعود

Prince of Songkla University Pattani Campus

فجعلها خرّاباً فتّاتاً إلا الصنم الكبير، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ أي عظيم آلهتهم، فوضع الفأس على كتفه، أو علقه في عنقه، أو سند إلى صدر كبيرهم الذي ترك، أو ربط في يده الذي كسّربه آلهتهم. هذا هو الكيد الذي أقسم خليل الرحمن إبراهيم ليفعله بها مستهدفاً رجوعهم إلى دين إبراهيم الحنيف ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾. أي لعلهم إلى إبراهيم يرجعون. وقيل: لعلّهم إلى الصنم الكبير يرجعون فيسألونه عن الكاسر، وأين كنت؟ ولماذا كسّرت تلك الأصنام وأنت صحيح والفأس على كتفك؟ والمقصود منها استهزاءاً بهم وبآلهتهم. وقيل: لعلهم إلى الله يرجعون. (الشوكاني، ١٩٩٣ : ٤٦٣/٣)

فلمّا رجع القوم من عيدهم دخلوا على الآلهة والأصنام ورأوا ما حلّ بآلهتهم فإذا هم قد كسّرت، وإذا كبيرهم في يده الذي كسّر به الآلهة، قالوا: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ ﴾ ؟ فقال الذين سمعوا قول إبراهيم: "تالله لأكيدن أصنامكم" ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ أي سمعنا فتى يذكر الآلهة بسوء يقال له "إِبْرَٰهِيمُ" فهو الذي حطّم الأصنام، فجادلهم عند ذلك إبراهيم عليه السلام. (السيوطي، ٢٠٠٣ : ٣٠٣/١٠). ويقال: حين دخل إبراهيم بيت الأصنام كان عندهم خدم يعني الوصائف فخرجن وقلن إن هذا الرجل مريض جاء يطلب من الآلهة العافية فلمّا خرج إبراهيم ودخلن فنظرن إلى الأصنام مقطوعة الرأس فخرجن إلى الناس بالويل والصياح وأخبرهم بالقصة فتركوا عيدهم ودخلوا فلمّا رأوا ذلك قالوا: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (أبو الليث السمرقندي، ١٩٩٣ : ٤٧١/٢) قال الشوكاني: في الكلام حذف والتقدير "فلمّا رجعوا من عيدهم ورأوا ما حدث بآلهتهم قالوا هذه المقالة".

Prince of Songkla University Pattani Campus

قال النمرود ـــ لعنة الله عليه ـــ وأشراف قومه: ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي ائتوا به واحضروه على أعين الناس ليكون ظاهراً بمرآي منهم حتى يروه ويشهدوا فيكون ذلك حجة دامغة عليه. ومعنى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي لعلهم يحضرون عقابه حتى يتزجره غيره عن الاقتداء به في مثل هذا. (الشوكاني، ١٩٩٣ : ٤٦٣/٣)

يخرج إبراهيم عليه السلام من هذه المعركة مظفراً، بهر أعداءه بحججه الساطعة وأذهلهم ببراهينه القاطعة فأدهشتهم المفاجأة، فلم يفكروا في إيذائه، وولي إبراهيم عليه السلام وجهه شطرا ميدان آخر، وهناك التقى بالوثنية وعبادها، ودارت المعركة حامية في ساحاتها، وعزم إبراهيم عليه السلام أن يصرفهم عن لجاجهم بمفاجأة لم تخطر ببالهم بعد أن حاجوه فيها محاجة الجاهل العنيد، فحطم الأصنام بيده، وعلق الفأس في عنق كبيرها الذي تركه على حاله ليحاجهم به، فجاء القوم من لهوهم فوجدوا آلهتهم صرعى، ورأوا عميدها يتحداهم بالفأس الذي علق برقبته، والعجيب أنهم لم يسألوا كبيرهم وقد رأوا الفأس في عنقه، وهو اعتراف منهم بأنه عاجز عن إجابتهم، وتوجّهوا نحو إبراهيم عليه السلام .

فلمّا حضر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام قالوا له: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ أي أأنت الّذي حطّمت هذه الآلهة يا إبراهيم؟ فقال لهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام جوابا عليهم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ أي بل حطّمها الصنم الكبير لأنه غضب أن تعبدوا معه هذه الصغار فكسّرها. ومعنى ﴿كَبِيرُهُم﴾ عظيم آلهتهم. والغرض من تلك الإجابة تبكيت لهم ولفت لنظرهم وإثبات أنه الفاعل دون سواه إقامة الحجّة عليهم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وأخرج أبو داود والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مرديه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث كلّهن في الله: قوله "إني سقيم" ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة "أختي" وقوله "بل فعله كبيرهم هذا**)) (البخاري رقم ٣١٠٨)[1]

اختار قوم إبراهيم عليه السلام من إجابته مع أنهم معترفون بأن الأصنام لا ينطقون، وأن هذا الفعل بها لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد. فرجعوا إلى أنفسهم بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم، فقالوا: ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي في تركككم لها مهملة لا حافظ عندها، أو ظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يملك لنفسه لحظة، فكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس من لا يرد عن رأسه الفأس؟! ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ أي لقد علمت يا إبراهيم أن هذه الأصنام لا تتكلم ولا تجيب فكيف تأمرنا بسؤالها! وهذا إقرار منهم بعجز الآلهة.

فقال لهم إبراهيم عليه السلام لمّا اعترفوا بذلك : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ أي إذا كانت لا تنطق ولا تنفع ولا تضرّ فلم تعبدونها من دون الله؟ ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضّلال والكفر الغليظ الذي لا يروج إلا على جهل ظالم فاجر.

كانت على أعينهم غشاوة فلا يبصرون، وفي آذانهم وقر فلا يسمعون، وقلوبهم غلف فلا يعقلون، فلمّا غلو على أمرهم، وخافوا افتضاح حالهم، ولم تبق لهم حجّة أو شبهة، عدلوا عن الجدل والمناظرة وعمدوا إلى القوة يسترون بها هزيمتهم،

---

(١) انظر : مسلم رقم ٤٣٧١ ، الترمذي رقم ٣٠٩٠ ، أبو داود رقم ١٨٩١ ، أحمد رقم ٨٨٧٣

Prince of Songkla University Pattani Campus

ويخفون باطلهم، وقالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ (محمد جاد المولى، ١٩٨: ٤٠) قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار إن كنتم ناصري آلهتكم و لم تريدوا ترك عبادتها. قوله ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ قيل: إنّ الذي قال ذلك: رجل من أكراد فارس. وقيل: إنّ الذي قال حرّقوه « هيزن » فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وعن مجاهد قال : تلوتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ فقال: أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قلتُ: لا، قال: رجل من أعراب فارس، قلت: يا أبا عبد الرحمن، أوهل للفرس أعراب؟ قال: نعم، الكرد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار. (الطبري، ١٩٩٢: ٩/٤٢)

وجاء في الخبر: أنّ نمرود بنى صرحاً طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً. وعليه قاعد ينظر إلى ما سيفعل بإبراهيم عليه السلام. (القرطبي، ١٩٨٨ : ١١/٢٠٠) قال المفسّرون: لما أرادوا إحراق إبراهيم جمعوا له حطباً مدة شهر[١]، حتى كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيتُ أن تحمل حطباً لحرق إبراهيم عليه السلام. ثمّ جعلوه حفرة من الأرض واضرموها ناراً فكان لها لهب عظيم حتى أنّ الطائر ليمرّ من فوقها فيحترق من شدة وهجها وحرّها. ثمّ أوثقوا إبراهيم عليه السلام وجعلوه في منجنيق ورموه في النار. يقال : إنّ إبليس صنع لهم المنجنيق[٢] يومئذ فلمّا أرادوا إلقاء إبراهيم في النار أتاه خزان الماء ـــ وهو في الهواء ـــ فقالوا : يا إبراهيم إن أردت أخمدنا النار بالماء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم. وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار، فقال: لا، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: "**اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل**" (القرطبي، ١٩٨٨ : ١١/٢٠٠)

---

(١) وفي بعض الروايات أكثر من شهر

(٢) لما أرادوا طرح إبراهيم عليه السلام فيه لم يقدروا على القرب منه فجاءهم إبليس ـــ لعنة الله عليه ـــ في صورة شيخ فقال لهم أنا أصنع لكم آلة يلقى بها في النار فعلّمهم صنعة المنجنيق (ابن عطية ، ١٩٨٨ : ١١/١٤٦)

وأخرج أحمد في الزهد وعبد بن حميد، من طريق أبي هلال[1] عن بكر بن عبد الله المزني قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام في النار جاءت عامة الخليقة فقالت: يا ربّ، خليلك يلقى في النار، فأذن لنا نطفئ عنه، قال: هو خليلي، ليس لي في الأرض خليل غيره، وأنا إلهه ليس له إله غيري، فإن استغاثكم فأغيثوه، وإلا فدعوه. قال: وجاء ملك القطر فقال: يا ربّ خليلك يلقى في النار، فأذن لي أن أطفئ عنه بالقطر، قال : هو خليلي، ليس لي في الأرض خليل غيره، وأنا إلهه ليس له إله غيري، فإن استغاث بك فأغثه ، وإلا فدعه . قال: فلمّا ألقي في النار دعا بدعاء نسيه أبو هلال، فقال الله عز وجل: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾. قال: فبردت في المشرق والمغرب، فما أنضجت يومئذ كراعاً (أحمد : ٧٩ ، ٨٠).

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ((إنّ إبراهيم عليه السلام حين قيدوه ليلقوه في النار قال: "**لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الْمُلْكُ لاَ شَرِيْكَ لَكَ**" قال: ثم رموه به في المنجنيق من مضرب شاسع، فاستقبله جبريل عليه السلام؛ فقال له: " يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: " أما إليك فلا " فقال جبريل: فاسأل ربّك، فقال: "حسبي من سؤالي علمه بحالي" فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم. و"كُونِى" هذه الكلمة التي تكون بها أكوان، وتنشأ بها عوالم، وتخلق بها نواميس: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فلا نسأل: كيف لم تحرق النار إبراهيم؟ والمشهور المعروف أنّ النار تحرق الأجسام الحيّة، فالذي قال للنار ﴿ كُونِى حَارِقَةً ﴾ هو الذي قال لها: ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾، وهي الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول، سواء كان مألوفاً للبشر أو غير مألوف. (سيد قطب، ١٩٨٦ : ٢٣٨٧/٤)

---

(١) أبو هلال: هو محمد بن سليم الراسبي (تهذيب الكمال ٢٩٢/٢٥)

قال أبو العالية: ولو لم يقل "بَرْدًا وَسَلَمًا" لكان بردها أشدّ عليه من حرّها، ولو لم يقل "عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ" لكان بردها باقيا على الأبد. وقال علي وابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ولم تبق يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها لا تعني. وقال كعب وقتادة: لم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه فأقام في النار سبعة أيام لم يقدر أحد أن يقرب من النار ثم جاؤوا فإذا هو قائم يصلي. (القرطبي، ١٩٨٨ : ٢٠١/١١). ولم يشعر إبراهيم بشيء أبداً يؤلمه بل ظل يسبّح بحمد الله، ويشكر فضل الله لا ينساه حتى خبت النار ولم يمسّ بسوء (حجازي، ١٩٦٨: ٢٤/١١) وقال كعب وقتادة والزهري: ولم تبق يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه، فلذلك أمر رسول الله ﷺ بقتلها وسمّاها فويسقة. (القرطبي، ١٩٨٨ : ٢٠١/١١). وعن ابن المغيرة المخزومي قالت: دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحاً فقلت: يا أمّ المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح؟ فقالت: نقتل به الأوزاغ، إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام فأمر رسول الله ﷺ بقتله. (ابن كثير، ١٩٨٣: ٢٤/٣)

وأراد نمرود وأصحابه أن يمكروا به فجعلهم الله أخسر الناس وأخسر من كل خاسر قال تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ أي المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله عليه السلام كيداً فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك، وقال عطية العوفي لما ألقى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه فأحرقته مثل الصوفة. (ابن كثير، ١٩٨٣ : 184/3). وقد روى أن الملك المعاصر لإبراهيم كان يلقب بـــ "النمرود" وهو ملك الآراميين بالعراق، وأنه أهلك هو والملأ من قومه بعذاب من عند الله العليم الحكيم. واختلف الروايات في تفصيلاته، وليس لنا عليها من دليل. المهمّ أنّ الله ﷻ قد أنجى إبراهيم عليه السلام من الكيد الذي أريد به، وباء الكائدون له بخسارة ما بعدها خسارة. (سيد قطب، ١٩٨٦ :

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢٤٨٨/٤). قال ابن عباس: سلّط الله عليهم أضعف خلقه البعوض فما برح نمرود حتى رآى عظام أصحابه وخيله تلوح، أكلت لحومهم وشربت دماءهم، ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تأكل إلى أن وصلت دماغه، وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبية من حديد فأقام بهذا نحواً من أربعمائة سنة. (القرطبي، ١٩٨٨ : ٢٠١/١١)

ثم بعد أن سلّمه الله تعالى من نار قومه أخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى الأرض المباركة ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي إلى الشام، قال قتادة: كان بأرض العراق فأنجاه الله بالهجرة إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وقال كعب الأحبار: إلى حران. وقال العوفي عن ابن عباس: إلى مكة ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران : ٩٦) (سيد قطب، ١٩٨٦ : ٢٣٨٨/٤)

ويقول تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ، وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ لقد ترك إبراهيم عليه السلام وطنًا وأهلاً وقومًا فعوضه الله الأرض المباركة خيراً من وطنه، وعوضه ابنه إسحاق وحفيده يعقوب أهلاً خيراً من أهله، وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قوما خيراً من قومه، وجعل من نسله أئمة يهدون الناس بأمر الله، وأوحى إليهم أن يفعلوا الخيرات على اختلافها، وأن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكانوا طائعين لله عابدين، فنعم العوض، ونعم الجزاء، ونعمت الخاتمة التي قسمها الله لإبراهيم عليه السلام. لقد ابتلاه الله سبحانه وتعالى بالضراء فصبر، فكانت الخاتمة الكريمة اللائقة بصبره الجميل عليه السلام. (ابن كثير، ١٩٨٣ : ١٨٥/٣)

Prince of Songkla University Pattani Campus